

(١)

**العشر الأواخر من رمضان  
عبادة وسلوكاً وتربية**

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ\* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ\* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ\* تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا يَدُنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ\* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد:**

فإن من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات ، وتكثر فيها النفحات والخيرات ، ومن هذه المواسم شهر رمضان ، والعشر الأواخر منه على وجه الخصوص، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، فهذه الأيام فرصة للمحسن أن يتزود فيها من الخير ، وللمسيء أن يستدرك ما فات ، ويغتني هذه الأيام العشر في الطاعات ، حتى يكون من الفائزين المقبولين في هذا الشهر الكريم.

فليحرص العبد على أن يختم شهره بطاعة الله تعالى ، والتقرب إليه بأنواع القربات ، فمن كان مقصراً فيما مضى فليحفظ ما بقي من هذا الشهر بالطاعة والإحسان ، ومن كان محسناً فيما مضى فليحرص على سلامة القصد وصحة النية.

ومن الأمور التي يجب على العبد أن يحرص عليها في العشر الأواخر من

رمضان:

(٢)

**إحياء الليل بالعبادة والطاعة** ، بالصلاة ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والاستغفار ، والسعي في قضاء الحوائج ، والتعاون على البر والتقوى ... وغير ذلك من أعمال الخير والصلة ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من الطاعة والعبادة والإقبال على الله (عز وجل) ، حيث كان (صلى الله عليه وسلم) يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها من الأيام ، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر شدّ منزره، وأحياناً ليله ، وأيقظ أهله) ، ومعنى شد المنزر : أي اجتهد في العبادة ، وقيل : كناية عن اعتزال النساء ، وفي رواية قالت : " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره " .

ولعل الحكمة من ذلك أن هذه الأيام تحوي بين ليلاتها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، والتي يتجلى فيها أعلى مظاهر العطاء الرباني والكرم الإلهي على الخلق ، أو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يكثر من العبادة في العشر الأواخر من رمضان لقرب انتهاء هذا الشهر الكريم ، والأعمال بخواتيمها ، فمن ختم له بخير فقد أفلح ونجح ، ومن ختم له بشر فقد خاب وخسر .

والعبادة في الليل أبعد عن الرياء المحبط للأعمال ، وهي دأب الصالحين لمن أراد أن يلحق بركبهم ، فقد أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم أن دأب المؤمنين الصالحين قيام الليل ، والتهجد والوقوف بين يدي الله سبحانه قال (عز وجل) : { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } .

وقد أشار الحق سبحانه إلى حال عباده المتقين في قيام الليل وهجر الفراش ،  
ولذلك استحق هؤلاء المؤمنون جنات وعيون ، كما وعدهم الحق سبحانه وتعالى  
فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
مُحْسِنِينَ \* كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

وبوصينا نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقيام الليل فيقول: (عليكم بقيام الليل فَإِنَّهُ  
دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَيِّئَاتِ ، وَمَهَابَةٌ عَنِ  
الْبَأْسِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ) ، على أن إحياء الليل وقيامه لا يتوقف على الصلاة  
و فقط ، فتلاوة القرآن قيام ليل ، ومذاكرة الحديث قيام ليل ، وذكر الله قيام ليل ،  
وكل نافلة يتقرب بها إلى الله بعد العشاء فهي قيام ليل .

**ومنها: إيقاظ الأهل :** للمشاركة في قيام الليل ، وتلمس ليلة القدر ، لأن  
الإنسان مسؤل عن أهله ، انطلاقاً من قوله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ،  
وكلُّكم مسؤلٌ عن رعيته ، فالإمامُ راعٍ ، وهو مسؤلٌ عن رعيته ، والرجُلُ في أهله  
راعٍ ، وهو مسؤلٌ عن رعيته ...) ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيراً ما يوقظ  
أمهات المؤمنين للعبادة والطاعة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: استيقظ  
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلةً فزعاً ، يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ  
الْخَزَائِنِ ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفَتَنِ ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجْرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ  
يُصَلِّيْنَ - رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ) ، وعن زينب ابنة أم سلمة (رضي الله  
عنها) قالت: (...كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ  
لَمْ يَذَرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ).

فحري بنا أن نقندي بفعل النبي (صلى الله عليه وسلم) تحقيقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} ، فإيقاظ الأهل للتعبد

(٤)

والطاعة سبب من أسباب رحمة الله (عز وجل) التي نتلمسها في هذا الشهر الكريم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِ الْمَاءِ).

ومنها: شد المئزر: وهو كناية عن شدة اجتهاده (صلى الله عليه وسلم) في العبادة زيادة على عادته في غير رمضان ، والمراد به : التشمير في العبادة ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: (كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا جَاءَتِ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ ، وَشَدَّ مِئْزَرَهُ وَاجْتَنَبَ النَّسَاءَ ، وَجَعَلَ عِشَاءَهُ سَحُورًا) .

ولم يقف الأمر عند مجرد إحياء الليل ، وإيقاظ الأهل ، وشد المئزر ، بل تعدى ذلك إلى بيان الحالة والهيئة التي ينبغي أن يكون العبد عليها من جد واجتهاد ، ليكون من الفائزين المفلحين ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} .

إن إحياء العشر الأواخر من رمضان بهذه الكيفية ، وبهذا الهدى النبوي الكريم لهو ترجمة حقيقة للإيمان الصادق ، فالإيمان هو ما وفر في القلب وصدقه العمل ، ومن ثم ترسخ القيم الخلقية، والإنسانية ، ومكارم الأخلاق التي تنظم سلوك الإنسان ، وتجعله مستقيما في كل شؤون حياته ، في العقيدة ، والآداب ، ومعاملة الناس .  
وإذا كانت العشر الأواخر من رمضان أياماً عظيمةً امتن الله تعالى بها على عباده بأن أعطاها نفحات ربانية ، حيث تتضاعف فيها الحسنات، ويعظم فيها الأجر والثواب ، وينفر الله تعالى فيها الذنوب والسيئات ، فقد جعل الله تبارك وتعالى فيها ليلة القدر ، إكراما من الله (عز وجل) لأمة حبيبه (صلى الله عليه وسلم) حتى تكثر حسناتها،

(٥)

وترتفع درجاتها ، ولا تسبقها الأمم الأخرى ، قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \*  
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا  
يَأْذُنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ } .

ولهذا كان من سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) الاجتهاد في العبادة والطاعة  
في تلك العشر ، وبذل الوسع في تحري تلك الليلة الفاضلة - ليلة القدر - التي هي  
خير من ألف شهر ، فينقطع الإنسان عن كل الخلائق ، مشغلاً بقيامها وإحيائها بالذكر ،  
والتلاوة ، والدعاء ، ويتخلى عن جميع ما يشغله ، ويعكف بقلبه على ربه وما يقربه منه ،  
طلباً لفضله وثوابه ، وإدراكاً لليلة القدر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (تَحَرَّوْا  
لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) ، وقد أمر النبي (صلى الله عليه  
وسلم) السيدة عائشة (رضي الله عنها) بالدعاء فيها ، حين قالت (رضي الله عنها) للنبي  
(صلى الله عليه وسلم) : أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول فيها ؟ قال : قُولِي :  
(اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) .

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم لعظم قدرها عند الله (عز وجل) ، وقيل : القدر  
بمعنى الضيق ، لضيق الأرض عن الملائكة التي تنزل فيها ، ففي الحديث : (إِنَّ  
الْمَلَائِكَةَ تَلِكُ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى) .

وليلة القدر لها قدسية خاصة ، حيث جعل الله قيامها سبباً لمغفرة الذنوب ، قال  
(صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ،  
ومن ثم فعلى المسلم أن يحرص على إحياء هذه الليلة العظيمة ، ويستثمرها في  
طاعة الله (عز وجل) ، فقد جعل الحق (سبحانه وتعالى) العبادة فيها خيراً من عبادة

(٦)

ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ففيها أنزل الله كتاباً ذا قدر ، على نبي ذي قدر ،  
بواسطة ملك ذي قدر ، على أمة ذات قدر .

فلنغنم هذه الأيام بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، وكل ما يقربنا إلى الله (عز  
وجل) ، حتى لا نكون من المحرومين من رحمت الله تعالى في هذه الليلة ، فإن  
الحرمان في هذه الليلة هو الحرمان الحقيقي ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)  
(...لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ..).

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد  
(صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**إخوة الإسلام :**

ما أحوجنا ونحن نتحدث عن العشر الأواخر من رمضان وإحياء ليلة القدر أن  
نتعلم من صيامنا معاني الرحمة ، والتكافل ، وصلة الرحم ، وضبط النفس ، ومن أهم  
هذه المعاني : معنى المراقبة ، فمراقبة الله تعالى في السر والعلن من أهم القيم  
السامية والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام .

وإذا كان شهر رمضان مدرسة تهذب السلوك وتسمو بالأخلاق إلى أحسنها ،  
فالصيام يربي النفس على مراقبة الله (عز وجل) في السر والعلن ، حيث يغرس في  
نفس الصائم الصبر على طاعة الله سبحانه ، ويعلمه قوة الإرادة ، وضبط النفس ، ففي  
كثير من الأوقات يكون الطعام والشراب بين يدي الصائم بعيداً عن أنظار الناس ،  
ومع ذلك يمتنع عن تناولهما خوفاً من الله (عز وجل) وخشية منه سبحانه ، وعلمه بأن

(٧)

الله تعالى يراه ، ومطلع عليه في سره وعلايته ، فيزداد إيمانه فلا يخاف غير الله ، ولا يخشى سواه ، وهذا ما فسره الحديث الشريف : ( كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يَضَاعَفُ ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي).

وقد حثنا الله تعالى على مراقبته في كل أحوالنا وتصرفاتنا ، فقال سبحانه :  
{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } ، وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } ، فإذا راقب الإنسان ربه في كل أحواله انضبط سلوكه وتصرفاته ، وحسن عمله واستقامت حياته ، سواء رآه الناس أم لم يروه ، وسواء أثنوا عليه أم لا ، فلا يظلم نفسه ولا يظلم غيره ، حتى وإن غابت عنه رقابة البشر ، لأنه يدرك أن الله تعالى معه حيث كان في السفر أو الحضر ، في الخلوة أو في الجلوة ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، وقد عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المراقبة بالإحسان كما ورد في حديث جبريل (عليه السلام) حين سأله قائلاً : (فأخبرني عن الإحسان؟) فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) .

لذا وجب علينا جميعاً أن نراقب الله تعالى ، ولنحذر أن تكون أجسادنا بلا ضمائر حية متصلة بالحق والخير والمعروف ، حتى تنزل علينا رحمة الله تعالى ومغفرته.

(٨)

فكما بدأنا شهر رمضان بالطاعات فلنختمه أيضاً بالطاعات ، فالأعمال بالخواتيم، نسأل  
الله تعالى أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه من النار ومن المقبولين